

## الصهيونية

( تنقل هذا الفصل من جزء نوفمبر سنة ١٩١٣ لمجلة الهلال المفيدة لاطلاع من لم يطلع عليه من قرائنا في هذه الايام التي كثر فيها الخوض في هذه المسألة )

## تاريخها وأعمالها

الصهيونية دعوة اجتماعية سياسية انتشرت في الامة الاسرائيلية باواخر القرن الماضي وكثر تحدث الناس فيها بالاعوام الاخيرة . وقد همنا امرها على الخصوص في اثناء رحلتنا بفلسطين . ولا بد لنا في بحثنا عن احوال تلك البلاد الاجتماعية والاقتصادية من الاشارة الى هذه الدعوة وتأثيرها الشديد في تلك الاحوال . فرأينا ان تأتي على خلاصة تاريخها وحقيقة غرضها لزيادة الايضاح فنقول .

## موضوعها

قد تقدم في كلامنا عن تاريخ فلسطين في الهلال الماضي كيف نشأت اليهود في انحاء العالم بعد ان جاهدوا في الدفاع عن اورشليم دفاع الاسود . وقد مضى عليهم في هذه الهجرة نحو ١٩ قرنا وهم يندبون وطنهم ودولتهم وهياكلهم . ولا سيما هيك سليمان الباقية آثاره في القدس الى الآن كما سنبينه مصورا في رحلتنا . وقد حاولوا استرداد ذلك الوطن عبثا ونظموا الاشعار في رثائه . ولا يزالون الى اليوم يكون ذلك المجد الذاهب كل اسبوع عند احجار يقتدون انها من بقايا هيكل سليمان

وقد حاول اليهود المهاجرون السعي في استرجاع ذلك الوطن غير مرة بأساليب مختلفة آخرها الحركة الصهيونية التي نحن في صدها

ولابد لكل دعوة اجتماعية او سياسية من غرض ترمي اليه وغرض الصهيونية « جمع الشعب الاسرائيلي في فلسطين وجعلها وطنا خاصا به » وهي مبنية من الوجهة الدينية على آيات جاءت في سفر ارميا الفصل ٣٠ عدد ١٠ حيث يقول « لا تخف يا عبدي يعقوب يقول الرب ولا تفزع يا اسرائيل فاني اخلصك من الغربة وذريتك من ارض جلالهم فيرحم يعقوب ويستقر في الراحة والحصب ولا يرعبه احد » وفي حزقيال ( ص ٣٩ عدد ٢٨ ) « فيعلمون اني انا الرب الههم باجلائي اياهم الى الامم ثم جهمي

اباهم الى ارضهم بحيث لا أبقي هناك منهم احداً من بعد » وفي تاموس قول صريح (ص: ١٤٩) « واردة شعبي اسرائيل فينون المدن المحرقة ويسكنونها ويفرسون كروما يشربون من خمرها وينشئون جنات يأكلون من ثمرها واغرسهم على ارضهم فلا يقتلون فيما بعد من ارضهم التي اعطيتها لهم »

وهناك نبات أخرى بهذا المعنى او نحوه في زكريا واسعيا وميخا وغيرها . ماخذهم من الاعتقاد بالمسيح الذي سيأتي ويجمع بني اسرائيل حوله . ويزحف على القدس ويميد العبادة للباكل وغير ذلك مما جاء في التلمود

على ان هذه الاقوال وامثالها لا تكفي لاجماع الامة على العمل بها ان لم يتوقع اصحابها قعما اقتصاديا او سياسيا من ورائها او ان يدفعهم للعمل جوع او اضطهاد او ظلم . وكم من اعتقاد يعتقد الناس ولا يجتمعون للعمل به لمجزهم عن ذلك او لعدم الاضطراب اليه ؟ وانما يجتمعون للعمل في ما يرون لهم فيه مصلحة حقيقية . ويتذرعون الى الاجتماع غالباً باسباب دينية يتوكلون عليها ويؤولونها الى ما يساعدهم على ذلك القيام ولا بد في مثل هذه الحال من محرك يبعث على النهوض . وقد بعث اليهود على هذه الحركة اران : الاول تمكن الروح المالية من نفوسهم على اثر الارتقاء الاجتماعي والعلمي في العالم المتسدين . فان شيوع الحرية الشخصية ولد في نفوس الامم عصبية عنصرية غلبت على الحماقات الاخرى . وبهذه العصبية يطلب المجر التخلص من النسا ويحاول البلقانيون الخروج من سلطة تركيا . والبلقانيون انفسهم يتحاربون الآن باسم العنصرية مع انهم من مذهب واحد واقليم واحد . والامر الثاني مبالغة الامم النصرانية في امتنان اليهود باسم الانتسمينزم (Antisemitism) ومعنى اللفظة « مقاومة الساميين » لكنهم يريدون بهم اليهود خاصة . قال ذلك طبعا الى اجتماع كلمة اليهود باوروبا وفيهم طائفة حسنة من اصحاب الاموال ورجال السياسة والعلم واهل الهممة والنشاط فاحذوا يحشون في الدفاع عن امهم . وانسوا في انفسهم المقدرة على العمل بتلك الآيات فوجهوا عنيتهم اليها ، فأخذ كتابهم يحرصون قومهم على الاستعمار في فلسطين لتخلص من اضطهاد الامم لهم . وقال بعضهم « اذا لم يكن ابتياح فلسطين ممكنا فنطلب وطننا في مكان آخر على وجه هذه البسيطة »

ونشط آخرون لاستنصار الجمعيات الخيرية الاسرائيلية كجمعية الاتحاد الاسرائيلي على القيام بهذا العمل سنة ١٨٦٣ ولكن هذه الجمعية عرضها الرئيسي تهذيب الشبيبة اليهودية . وحاول غيرهم استنهاض جمعية اليهود الانكليزية في لندن وجميعةهم في برلين فترتب

على ذلك تأسيس الجمعية العمومية الفلسطينية وجمعية الاستعمار الفلسطيني . لكن الدعوة لم تكن نضجت بمدفلم تأت هذه المساعي ثمرة . فوجهوا انتقاهم الى وادي الفرات لعله يصح ان يكون مهجرا لهم . وبذل السياسي اولفانت الانكليزي جهده في نيل امتياز خط حديدي في ذلك الوادي ليسكن فيه مهاجري اليهود من روسيا . واقترح انشاء مهجر يهودي في فلسطين بنواحي الساط على ان تتألف جمعية رأس مالها عشرة ملايين فرنك يتتاع مليون فدان يستثمرها يهود بولندا ورومانيا والاناطول . فلم يأذن لهم السلطان - وقس على ذلك سائر مساعيهم في هذا السبيل

لكن روح الصهيونية اخذت تتمكن من قلوب اليهود . وهم يزدادون تمسكا بالفضعية كلما زاد مقاوموهم شدة . فكثرت الجمعيات التي تألفت لهذه الغاية . واول جمعية افلحت في استثمار ارض فلسطينية نشأت سنة ١٨٧٩ ولما التأم المؤتمر الاسرائيلي سنة ١٨٨٤ لتتظر في احوال المستعمرين والاخذ بناصرهم حضره مندوبون عن خمسين جمعية فازداد القوم نشاطا وبلغت الحركة اشدها سنة ١٨٩٤ واوشكوا ان يبنفوا غايتهم لكن العثمانيين انتبهوا لاغراضهم فخلوا بينهم وبين ما يريدون . ولم يستقر عملهم على قواعد متينة الا بعد ظهور الدكتور تيودور هرتسل صاحب الدعوة الصهيونية

وهو رجل نمساوي شديد الفيرة على العنصر الاسرائيلي عالي الهمة قوي الحجة كتب وهو في باريس سنة ١٨٩٥ كتابا في استعمار اليهود سباه «الوطن الاسرائيلي» لم يزعم انه يستنهض به الهمم او يستثير العزائم بل قال انه كتبه لنفسه ولا يقف بعض اصدقائه على آرائه . ولكن الكتاب مالبث ان طبع في فينا بالنمساوية حتى نقل الى الفرنسية والانكليزية والبرانية واعيد طبعه مرارا وراج رواجا عظيما . وحرك الهمم فوق ما كان يتوقع الناس منه . وقد عارضه كثيرون لكن المجاري الاجتماعية اقتضت ظهور ثمره لان فكرة استعمار اليهود لفلسطين كانت قد نضجت واستعدت لها الازهان وناقت اليها النفوس

وخلاصة آراء هرتسل في ذلك الكتاب «ان اعداء الساميين آخذون في الازدياد ولا يستطيع اليهود مقاومتهم لتشتت شملهم في الارض فوسم في حاجة الى الاجتماع في وطن خاص بهم» فاقترح انشاء شركة يهودية اقتصادية رأس مالها ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه مركزها لندن . وان تتألف جمعية سياسية يهودية تدبر اعمال هذه الشركة وتشير عليها بما ينبغي عمله . واقترح للقيام بذلك ابياع فلسطين او الارجتين على ان